

## المقاربة السلوكية (البراديغم السلوكي) (Le Paradigme béhavioriste)

### مدخل:

يمكن وصف علم الاتصال بأنه علم تلقي فيه علوم عدة : فهو متحول ومتعدد ومتداخل الأنظمة المعرفية، لهذا السبب يطلق عليه البعض "علوم الاتصال" (sciences de la communication).

والأبحاث في علم الإعلام والاتصال تتركز استناداً إلى طبيعة الاتصال على محاور ثلاثة :

**المحور الأول :** الجوانب الاجتماعية والثقافية لوسائل الاتصال، وفيها يتناول الباحثون التأثيرات المتبادلة لوسائط الاتصال الجماهيري : الراديو والتلفزيون والصحافة والسينما و الوسائط الجديدة. وذلك بالتركيز على السلوكيات ومدى تعزيزها للآراء أو تغييرها للقيم، ويجري تناول هذا من زاوية التفاعلية أو علم النفس السلوكي.

**المحور الثاني :** محتوى الرسالة الإعلامية، ويعالج هذا المحور من البحث، جانباً من جوانب العملية الاتصالية وهو الرسالة أو الرسائل المتبناة بدءاً من اللغة الصوتية أو الأيقونية باعتبار الأفراد أعضاء في جماعة. وعليه، يصبح تحليل الرسائل الإعلامية هو تحليل لبناء وإنتاج اجتماعي للمعنى.

ويلتزم هذا المحور مقاربتان للتحليل : تحليل المحتوى التقليدي، والتحليل السيميائي. وهاتان الطريقتان في تحليل الرسائل تؤديان إلى المعنى الموجّه للرسائل الرموز، وفقاً لتقنية مختلفة، مما يؤدي إلى إدراك الدلالة غير الظاهرة لتلك الرسائل.

**المحور الثالث :** الاتصال المنظم : التنظيم يشكل أرضية ملائمة لدراسة الاتصال، ومن غير الممكن فصل الاتصال عن التنظيم. في هذا المحور، وحسب بعض الباحثين، أصبح التنظيم تجريداً، لا يتجسد إلا بالاتصال، عبر الرسائل الشفهية والمكتوبة وغير الفعلية، والإعلامية.

في ضوء ما تقدم، يرى الباحثون القائمون على البحوث في حقل علوم الإعلام والاتصال أن المنهجية الملائمة هي النظريات أو المقاربات بوصفها بنى علمية تفر تفسيراً دقيقاً، ومنها "البراديغمات" التي أصبحت تنظر إلى أن الاتصال الجديد عبر التقنية كبنية تنظيمية، بوظائف متعددة، وتأثيرات متنوعة، وتأويلات تعيد صياغة المعنى الاجتماعي بين الأفراد المستخدمين لتكنولوجيا.

و "البراديغمات" المسيطرة في دراسة موضوعات الاتصال في ظل الوسائط الجديدة أربعة، لكنها ليست تامة ونهائية بل توجد اضافت أخرى نشير إليها لاحقاً:

### 1. البراديغم السلوكي (Le Paradigme béhavioriste)

2. البراديغم السيبرناتيقي (Le Paradigme Cybernétique)

3. البراديغم الوظيفي (Le Paradigme fonctionnaliste)

4. البراديغم التأويلي (Le Paradigme interprétatif)

### أولاً: المقاربة السلوكية:

ظهرت الاتجاهات السلوكية في علم النفس في الولايات المتحدة الأمريكية، في العقد الثاني من القرن العشرين، وسادت في علم النفس لمدة تزيد عن ثلاثين سنة تقريباً. اهتم السلوكيون الأوائل بدراسة البيئية كمثيرات في علاقتها بالسلوك، ولاحظوا أنّ التعلم يكون من خلال الخبرة المكتسبة، الأحداث الناتجة عن التعرض للمثيرات البيئية وتعزيزها، أكثر من تأثير العوامل الوراثية. برزت الدراسات السلوكية على الظواهر السلوكية الخارجية التي يمكن ملاحظتها، وعلى دراسة ترك المنبهات التي تستثير أشكالاً معينة من الاستجابات التي تأخذ شكلاً صريحاً يمكن ملاحظته. وبذلك، فهي لا تثق كثيراً بالشروح والافتراضات المتعلقة بالفكر والمعتقدات، ومختلف العمليات العقلية الداخلية التي لا يمكن ملاحظتها. هذه الدراسات للتطوير فيما بعد من خلال جهود علماء النفس وعلم النفس وأصبحت تعرف بنظريات المثير والاستجابة أو نظريات التعلم، تقوم جميعها بتفسير السلوك الفردي في علاقه بالمثيرات الخارجية والتركيز على أنّ هذا السلوك هو عسبي متعلّم في البداية.

ومن هنا كانت الانطلاقة للاهتمام بتلك السلوكية المقاربة المعتمدة على تفسير السلوك **Behaviourism** منشئها جون برودوس واتسون **John Broadus Watson** ومن أهم متبني هذا

التيار العالم بورهوس فريديريك سكينر **Skinner Burrhus Frederic**

تعتمد هذه المقاربة في تلخيص عملية التعليم إلى شكل من التدريب الأوتوماتيكي يعتمد على الفعل و الفعل المضاد. حيث يعتقد متبعو هذا المسلك أنّ السلوك لا يتغير عن طريق تفاعلات داخلية أي تحدث داخل الإنسان بل تحدث كإجابة على تغير العوامل الخارجية أي المحيط أي ردة فعل المحيط أو الخارج على سلوك المتعلم. من أهم الحدسيات التي تقوم عليها هذه المقاربة:

إذا كانت ردة الفعل على سلوك معين إيجابية فإن ظهور هذا السلوك سيتكثف إذ كانت ردة الفعل على السلوك سلبية (عقاب مثلاً) فإن ذلك يفضي إلى تناقص ظهور هذا السلوك في المستقبل القريب و لكن في المستقبل البعيد يصبح ذلك غير ذا تأثير على السلوك

إذا تم تجاهل سلوك معين من قبل المحيط فإن ذلك السلوك ينقرض . و بناء على هذه الحدسيات (و بعضها ملاحظات من علم البيولوجيا) قام سكينر بتقديم تصور لطريقة التدريس معروفة تحت اسم . programmierte Instruktion حيث إقترح تقسيم المادة المدرسية إلى ذرات أو كوانتات معرفية أي كميات معينة من المعرفة يتم تقديمها للمتعلم بطريقة تتابعية (lineare Lernablauf) أي أنك لا يمكنك أن تقفز للباب الثاني مثلا قبل تخطيك الباب الأول. بعد كل ذرة معرفية يتم إمتحان المتعلم في حالة تجاوزه يتم مكافئة المتعلم و يمر للذرة التي بعدها و في حالة العكس يتم تجاهل إجابته و إعادة الذرة المعرفية. و كان سكينر في الخمسينات و من الستينات من الأوائل الذين إستعملوا الكمبيوتر في التدريس حيث كان أستاذا في علم التربية و السلوك في جامعة هارفرد. و قد كان سكينر من المعارضين لطريقة الأسئلة المتعددة الإجابات (Multiple-Choice) حيث رأى أن الإجابة الخاطئة قد تعلق بالذهن في حين لم يعارض نورمان كراودر Norman Crowder ذلك.

**فالبرادينغ السلوكي** طُبّق في دراسة وتفسير تأثيرات وسائل الإعلام على الجمهور من زاوية أن هذه الوسائل هي محفز، وأن ردة فعل الجمهور أو سلوكه بعد الخبر أو المعلومات هي استجابة، فهو منحدر من السيكلوجيا الوضعية ومن ميزات هذا النموذج :

- أنه يدرس الإثارة و الاستجابة أي لكل محفز استجابة ملائمة.
- ذات خاصيات مرئية تفترض رادّات فعل تلقائية.
- يستخدم في دراسة تأثير وسائط الاتصال على الناس و كذا الدعاية و الاقناع و السلطة الخفية او القوة الساحرة لوسائط الاتصال .
- يقود و يوجه الأبحاث حول تأثير وسائط الاتصال الجماهيري.
- يعتبر النموذج السلوكي أن Média مثير قوي وأن الأفراد متلقين و يقبلون بسهولة تأثيراته.
- المثير والاستجابة وحدة أساسية توحد بين الوعي والسلوك.
- ردّات الفعل آلية وتلقائية، فعند حدوث المثير تحدث الاستجابة.
- السلوك الإنساني كما السلوك الحيواني، قابل للملاحظة.

تزامن ظهور هذه المقاربة ب بروز السمات الخاصة بجمهور الوسائط الجديدة كما يلي:

- أنّ الأفراد يعيشون شروط عزلة نفسية تجاه الآخرين.
- أنّ اللاشخصانية تسود العلاقات المتبادلة بين هؤلاء الأشخاص.
- أولئك الأفراد قد تحرّروا نسبيا من الأواصر والواجبات الاجتماعية غير الشكلانية، التي أنّ كانت تلزمهم وتقيدهم